اليد إلا الدال ، ولم يبق على هذا القياس من الغزال إلا خفة الحركة ، ولا من المرجان المفتر عن الدر النضيد إلا احمرار فى الشفة يتفتح عن ثنايا الثغر المبتسم ، بغير حاجة إلى استحضار آكام المرجان وعقود اللؤلؤ وتراكيب الأفواه ذوات الشفاه .

إن قول البديعى العربى «رأيت قمرا على غصن على كثيب» يربك السامع من غير أبناء اللغة العربية ، ويجتهد هذا السامع فى استخراج الصورة المحسوسة من أطوار هذه التشبيهات فلا يدرى كيف يجتمع منها رسم جميل ، ثم ينفض يديه من البلاغة العربية قائلا لنفسه إنها بلاغة مزاج آخر يسيغ مالا يساغ فى كل مزاج .

إلا أن المسألة فى حقيقتها ليست من مسائل المزاج المختلف بين الأجناس ، ولكنها مسألة اللغة والإصطلاح فى استخدام الصور والكلمات ، وليس بين الأمزجة فى هذه المصطلحات كبير اختلاف لو اتفقت على المفتاح المشترك فى هذا «الجفر» المكشوف .

إن العربى أيضًا يزعجه أن يضع قمر السماء على غصن الشجر على كومة الرمل ليستخرج منها محاسن إنسان يهواه ولا يعجب السامع من هواه .

ولكنه يبتهج ولا ينزعج حين يفهم الصورة على طريقته فى ترجمة المجاز من الصور الهيروغليفية إلى الحروف الأبجدية .

إشراق كالأشراق الذى يحسه الناظر إلى القمر ، وخفة كالخفة التى يتمايل بها الغصن النضير ، وجسم بض كالجسم الذى يمسك ذلك